

زمن الشقلبة

هل سبق وسمعتم سابقًا بالاسم "جميلة بوحيرد"؟ أو هل مرّ عليكم الاسم "محمود السواركة"؟! أنا متأكد أنّ معظمكم لم يسمع بهم بتاتًا حتى ولو بالصدفة.

سنعود إلى هذه الأسماء لاحقًا. لكن دعوني استذكر حدثًا جرى هذا الأسبوع في منصّات التّواصل الاجتماعي. هناك شاب أردني اسمه "عبي" يظهر كثيرًا على "التيك توك" بلا محتوى يُذكر أو مضمون محدد. لكن ممّا يلفت الانتباه أنّ هذا الشّاب لديه أكثر من مليون متابع في العالم العربي، ويقدم مضمونه اللامحتوى فيه على الملأ. حيث يظهر ببث مباشر على "التيك توك" ويقوم بما يسمّى منافسة مع شخص أو أشخاص من الشّباب والصّبايا. تمتاز هذه المنافسات أو المبارزات بالضحك والنكات وأحيانًا بالشّتائم والمسبات واللغة البذيئة. لكن ليس هذا هو المهم. المهم أنّ هذا الشّاب الأردني قد حوّل منصّته ونشاطه على تطبيق "التيك توك" لتقديم مساعدة عظيمة لفتاة مريضة بمرض السرطان، كانت تشارك معه على البث المباشر، حيث كانت هذه الفتاة بحاجة إلى شراء علاج بتكلفة تصل إلى 25 ألف دولار. وقد قرر هذا الشّاب "عبي" إطلاق حملة لجمع هذا المبلغ، وبالفعل استطاع أن يجمع مبلغ 30 ألف دولار خلال وقت قصير لا يتعدى ساعة من الزّمن.

طبعًا نحن نبارك هذه الخطوة ونبارك جهود صاحبها، لكن السؤال الذي يطرح نفسه، كم كان من الممكن أن يستغرق الأمر لشخص عادي مثلي ومثلكم لجمع هذا المبلغ؟! وهل كان بإمكاننا أن نفعل ذلك؟!!

جلستُ في أحد الأيام منتظرًا موعد طائرتي من مطار إسطنبول القديم حيث اضطررت الانتظار أكثر من ساعة ونصف قضيتها في مراقبة المارين من المسافرين من شتى بقاع الأرض. أنا أشعر عادة بالملل في المطارات خاصة إذا كان وقت الانتظار طويلًا، لكن في ذلك اليوم حدث ما لم أتوقعه.

فجأة وبدون سابق انذار رأيت الناس تجري وتهرع بأحد الاتجاهات خاصة من فئة الشباب والصِّبايا المراهقين. استغربت كثيرًا وسألت أحد المارين الذي أجابني أنّ "نانسي عجرم" المغنّية اللبنانيّة قد عادت لتوّها من دبي بعد حفلة غنائية كبيرة حضرها آلاف المعجبين والمعجبات. طبعًا "نانسي" عادت من دبي بطائرة خاصّة، وأحاط بها في المطار خمسة من الحراس، عابسي الوجه، ضخام الجثّة والعضلات وسط صراخ هستيري من الشباب والصِّبايا في محاولة منهم للفت أنظارها للحصول على توقيع منها أو صورة "سيلفي" معها.

ما يحزني أنّ مطربة بأغنية أو ألبوم أغاني قد حققت مجدًا ومكاسب لا يحققها أي كاتب أو أديب عربي نذر عمره للكلمات. ما يحزني أن أرى لاعب كرة قدم، مهما كانت شهرته، يحظى باحترام واعجاب الجماهير أكثر من عالم كيمياء أو

فيزياء حاز على جائزة نوبل مقابل اكتشاف مهم في الطب والعلم يخدم الانسانية
جمعا.

هنا يحضرنى قول "ستالين" وهو ينادى من خلال جهاز الراديو، ينادى الشعب
الروسي للمقاومة، والتأزيون على أبواب موسكو، صائحًا: "دافعوا عن وطن
بوشكين وتولستوي". ماذا كانت الفتاة العربية التي نادى مستغيثة: "وامعتصماه"
ستنادى اليوم طالبة النجدة؟! لا أتخيل ماذا ستكون الإجابة.

هنا أجد من واجبي العودة إلى "جميلة بوخيرد" وهي مناضلة جزائرية، من
المناضلات اللاتي ساهمن بشكل مباشر في الثورة الجزائرية أثناء الاستعمار
الفرنسي في أواخر القرن العشرين. ونتيجة لبطولاتها أصبحت الأولى على قائمة
المطاردين حتى أصيبت برصاصة وألقي القبض عليها وتعرضت للتعذيب
وللصعق الكهربائي لمدة ثلاثة أيام. لجعلها تعترف على زملائها، ولكنها تحملت
هذا التعذيب. "بوخيرد" أشهر رمز للمقاومة في الجزائر. كانت "جميلة بوخيرد"
تسافر إلى فرنسا بعد الاستقلال على الدرجة الاقتصادية، محملة بما تحمله أم من
مؤونة غذائية لابنها الوحيد، ومما يثير الحزن أنّ مثلها لا يسافر على الدرجة الأولى
بينما تتفاخر الأخرى أنها لا تتنقل إلا بطائرة خاصة ووضعت تحت تصرفها لأنها
رفعت اسم بلدها عاليًا.

أما بالنسبة "المحمود السواركة" فقد كان أسيرًا مصريًا في المعتقلات الاسرائيلية،
التي قضى فيها اثنتين وعشرين سنة، ولم يجد الرجل أحدًا في انتظاره من

"الجماهير" التي ناضل من أجلها، بينما اضطر مسؤولو المطار في إسطنبول إلى تهريب "نانسي عجرم" جزاء تدافع مئات الشباب والشابات.

نحن يا أصدقائي في "زمن الشّقلبة"، فحارس بنك يحمي ملايين الأموال راتبه 5 آلاف شاقل، وحارس مدرسة يحمي أعراض البنات راتبه 4 آلاف شاقل، لكن حارس مرعى يحمي شبكة وثلاث خشبات عقده 25 مليون دولار.

للأسف نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا. هناك أوطان كانت تنتسب إلى الأبطال، وغدّت تُنسب إلى الصّبيان، إلى المغنين والمغنيات.

وهل يمكن أن ننهي مدونتنا بدون طرفة؟

صحفي سأل الكاتب الكبير عباس العقاد:

مين أشهر، أنت أم محمود شكوكو؟

فالعقاد رد باستغراب: مين شكوكو؟؟!!

فلما الصحفي نقل لشكوكو كلام العقاد، قال شكوكو: اذهب للعقاد وقل له ينزل ميدان التحرير ويقف على رصيف وأنا هنزل وأقف على الرصيف المقابل، ونشوف الناس هتتجمع على مين أكثر.

فلما الصحفي نقل للعقاد كلام شكوكو، قال العقاد: روح لشكوكو وقوله ينزل ميدان التحرير ويقف على رصيف ويخلي واحدة رقاصة لابسة بدلة رقص تقف على الرصيف الثاني ويشوف الناس هتتلم على مين أكثر.

رسالة العقاد لها مغزى كبير ومهم جداً في زماننا وواقعنا، إن الناس لا تعطي القيم والمثل حقها، وصاروا يلهثون ورا الإسفاف والابتذال، أصبح اجتماع الناس هو مقياس النجاح، لكن العبرة ليست بكثرة المصنفين والمهملين، ولكن العبرة بالقيمة التي تضيفها للمجتمع.

فالكثرة لا تصنع الحق، بل قد يكون العكس هو الصحيح وتكون الكثرة مع الباطل

ورحل العقاد وشكوكو وبقي الدرس:

«التاريخ يُحاكم الجميع وأثره هو خير من يُدافع عنك»

دمتم بكل خير

أ.أيمن جبارة